



ان المسار الثوري في الشرق الاوسط يُحدث واقعاً جديداً له آثار معقدة في الصعدين الاقليمي والعالمي. ومن بين خصائص هذا المسار البارزة مشاركة القوى العظمى التي تعمل على الدفع قديماً بمصالحها الاستراتيجية. وفي خلال ذلك تم مواجهة مستمرة بين روسيا بمشاركة الصين وبين الغرب، ولهذه المواجهة تأثير في مسار 'الربيع العربي' عامه.

فوجئت روسيا ايضاً غير مستعدة للزعزعة في العالم العربي والتي خسرت فيها أملأكاً مهمة. وتعمل منذ ذلك الحين في ظروف عدم يقين على مضاعلة الاضرار وملاءمة حلولها للوضع. وكانت سياستها السابقة تعتمد على رعاية المحور المعادي للغرب في الشرق الاوسط (ایران وسوريا ومنظمات متطرفة تدعمها ایران كحزب الله وحماس). وصرفت في الان نفسه سياسة ذات قيمتين في منافسة للغرب في التأثير في المنطقة. وقد منحتها جهودها للظهور بمظهر لاعبة دولية فعالة وواسطة ناجعة في تصورها نقطة استحقاق في النظام الدولي. ومن بين تقديراتها للعمل في المنطقة ايضاً وقف التآمر الاسلامي في داخل اراضيها الذي أصبح اليوم تهديداً حقيقياً والدفع قديماً بأهداف اقتصادية مع تأكيد مجالات مصادر الطاقة وتصدير السلاح.

عملت روسيا منذ بدأت الثورات على ملائمة سياستها للظروف الجديدة للحفاظ على انجازاتها السابقة بل للخروج رابحة من الوضع الجديد. ولهذا تعاونت مع المجتمع الدولي والنظم الجديدة في المنطقة وأدارت ظهرها للنظم المستبدة المنهارة، بل انها أيدت التدخل الدولي في ليبيا وكان ذلك قراراً ندمت عليه بعد ذلك. وحدث تغير لتوجه روسيا منذ ان فقدت موطئ قدمها المهم وبقيت لها العلاقة مع دول 'محور الشر' - ایران وسوريا - فقط وهي تجري الان معركة انسحاب لحماية هذه الصلات.

ان التفتيش عن الاضرار الى الان يجعل روسيا تخلص الى استنتاج معوج يقول انه في الواقع الناشئ يترجم المسار الثوري في الشرق الاوسط الى توجه اسلامي شامل في المنطقة. وتقود هذا المسار في رأيها الدول السنوية بقيادة السعودية التي تنشئ

جبهة إقليمية لمواجهة النظام الشيعي الذي يشمل الآن دول المحور المعادية للغرب إيران وسوريا. وترى بحسب فهمها أن النظام الشيعي الذي يؤيده الغرب ينجح في أن يدفع إلى الأمم بنظم إسلامية في كل الدول التي جرت عليها الثورة مع زعزعة قدمي إيران التي تنهار استراتيجيتها الآن باعتبارها قائدة الجهاد الإسلامي الموحد لمواجهة الغرب وإسرائيل. وفي هذا الواقع فإن روسيا في حماستها لحماية سوريا من الثورة والضغط الدولي وحماية إيران من العقوبات الدولية بقيت أسيرة المعسكر الشيعي خاصة. وروسيا التي تذكر دروس تدخل سلفها الاتحاد السوفييتي في الشرق الأوسط والتي تحذر من أن تظهر أنها تختار طرفاً ما في المواجهة الإقليمية، تجد نفسها مدفوعة إلى اختيار طرف ليس هو المنتصر خاصة.

تعمل روسيا في هذا الواقع المركب بصورة محمومة لتجد مخرجاً من الورطة التي دفعت إليها، ووجدت نفسها في شراكة مصيرية لا تريدها مع النظام الشيعي، وتشعر بأن اللعبات المحلية تستغلها. لكن يرى صاغة السياسة فيها أن ثباتها الصلب في دعم 'محور الشر' المنتقض ما يزال يمنحها الصلة الدولية؛ لكن أحدى النتائج السلبية لهذا التوجه هي زيادة التهديد الناشئ لروسيا من قبل المعسكر الشيعي في الشرق الأوسط. إن سياسة روسيا تثير في الحقيقة غضب معارضي النظام في سوريا والمعسكر الشيعي بعامة، وتخشى روسيا الآن تجنيدهم أنفسهم لمواجهةها وارسال القوى المتطرفة للعمل على مجابهتها روسيا. ويخشى قادة روسيا أيضاً من تفاهمات في المستقبل بين أهل السنة والغرب تترجم إلى إخراج روسيا من الشرق الأوسط. وأخذت المواجهة مع تركيا تزداد قوة في الوقت الذي تُبنى فيه تركيا لتصبح لاعبة إقليمية مركبة وترجم سريعاً نتائج الربيع العربي إلى مزايا لها (يُذكر أن الأسطول الروسي قد واجه الاتراك من قبل في ماء قبرص). والجبهة الفلسطينية أيضاً لا تسبب الراحة بعد أن تركت منظمة حماس المعسكر الشيعي.

تحtar روسيا الآن في شأن متابعة طريقها بازاء تحدي فقدانها تأثيرها في المنطقة. فما هي الاتجاهات المحتملة من جهتها اذا؟ يبدو انه ما يزال عند روسيا شعور بأن لها دوراً حقيقياً في حال عدم استقرار وعدم يقين في المنطقة. ولروسيا عنابة سافرة بمحاولة صوغ كتلة من الدول المؤيدة تكون ذخراً استراتيجياً لها مع افتراض ان يظل القاسم المشترك في الشرق الأوسط في المستقبل هو معاداة الغرب. ولهذا يبدو ان الاتجاه الذي تفضله روسيا سيكون محاولة انشاء تحدث مع جميع الاطراف في المنطقة ومنها النظام الإسلامي الجديد، وبكل ثمن. وتسعى روسيا أيضاً إلى دورها التقليدي الكثير المزايا، دور الوسيطة الرابطة بين المعسكرات وبين اللعبات الإقليميات. والحدث في ضمن ذلك عن جهد لمساعدة إيران على عقد جسر فوق الهوة الشيعية السنية. وروسيا تعمل أيضاً مع حمايتها لسوريا على الربط بين المتمردين ونظام الأسد. ويبدو انه لم يعد عند روسيا أوهام تتعلق ببقاء النظام، لكن حينما ينهار ستخرج رابحة من صلتها الإيجابية بسلطة المستقبل. وهناك قناة حيوية أخرى هي إحياء مسيرة السلام بين إسرائيل والفلسطينيين مع مشاركتها الفاعلة اذا أمكن ذلك. ولذلك تواصل روسيا برغم الصعاب السعي إلى عقد مؤتمر سلام في موسكو هذا العام كما تم الاتفاق على ذلك في الرباعية، ويبدو مجرد اجراء المسيرة ربما مناسباً في نظرها.

في مقابل كل ذلك يوجد في روسيا من يدعون إلى ترك سياسة الشرق الأوسط الحالية ومنها تأييد شركاء روسيا المربيين المعسكر الشيعي الذين أصبحوا عبئاً، لكن ليس من المعقول ان تتخلى قيادة روسيا بسهولة عما يبدو أنه ذخائرها، وهذا مؤكد اذا لم يوجد مقابل مناسب من الغرب. وقد تكون هذه في الحقيقة هي اللعبة الحقيقة التي تلعبها روسيا. ونقول تلخيصاً ان روسيا ما تزال ترى نفسها لاعبة مهمة في شؤون الشرق الأوسط وستعمل على إقرار مكانتها المضطهدة. ويبدو ان استعدادها لمصالحة مع الغرب على شأن الشرق الأوسط أكبر الآن مما كان من قبل وذلك بسبب مسار انهيار موطن قدمها ودفعها إلى موقف غير مريح، ومن المعقول ان نفترض ان هذه المصالحة ستوجد قريباً وهو ما سيجعل الضغط الدولي على النظام في سوريا والعقوبات على إيران تأتي قريباً، وسيمنحك روسيا مخرج كرامة أيضاً. لكن هذا السيناريو ايضاً اذا تحقق لن يطول أكثر من الوقت الذي تحتاجه روسيا لتنظيم نفسها وللعودة من جديد إلى شؤون المنطقة التي تعتبر حيوية

لصالحها.

تسفي مغين

^١ معهد ابحاث الامن القومي

المصادر: